

دولة الإمارات العربية المتحدة



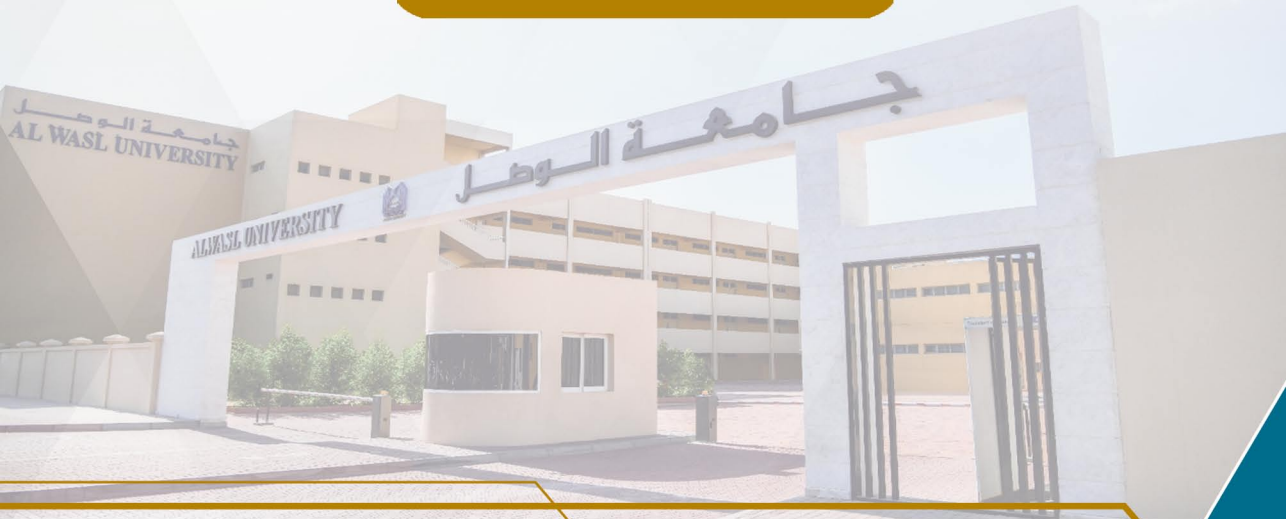
جامعة الوصل - دبي

كتاب

المؤتمر الدولي الثالث للدراسات العليا والبحث العلمي
الموسوم بـ:

آفاق التفكير الناقد في العلوم الإنسانية رؤية نقدية بين الحداثة والتقليد

15 - 16 نوفمبر 2023 م



الإمارات العربية المتحدة



جامعة الوصل - دبي

كتاب

المؤتمر الدولي الثالث
للدراسات العليا والبحث العلمي

الموسوم بـ

آفاق التفكير الناقد في العلوم الإنسانية
رؤية نقدية بين الحداثة والتقليد

15 - 16 نوفمبر 2023 م

لجنة نشر الكتاب

إشراف:

أ.د. خالد توكال

نائب مدير الجامعة لشؤون البحث العلمي

رئيس لجنة النشر:

د. عبد الله طاهر الحذيفي

الأعضاء:

1- أ.د. سيد عبد الخالق إسماعيل

2- د. بهاء الدين شهوان

3- د. محمد سعيد القلي

4- د. هدير عبد الله كامل

نؤمن في جامعة الوصل بأنّ البحث العلميّ يمثّل
ركيزةً أساسية من ركائز التعليم العالي، لأنّه من الإنجاز
ات العلمية التي تعتمدُ على استخدام الأسس المنهجية
الرصينة، المؤدية إلى اكتشاف الظواهر ودراستها،
والتصدّي للمشكلات والتحديات، ومحاولة الوصول إلى
فهم الحقائق، سعيًا إلى إنتاج معرفة جديدة، تقود إلى
التطوير نحو الأفضل، بقصد الإسهام في بناء مقومات
التنمية الوطنية وخدمة الإنسانية بشكل عام.

أ. د. محمد أحمد عبد الرحمن

مدير الجامعة

كلمة الرئيس التنفيذي للمؤتمر الدكتور إبراهيم رابعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين، وبعد

لقد جاء المؤتمر الدولي الثالث للدراسات العليا والبحث العلمي الموسوم بـ «آفاق التفكير الناقد في العلوم الإنسانية - رؤية نقدية بين الحداثة والتقليد» وفق رؤية علمية سعت إلى تحقيق استثمار علمي دقيق لتمكين العلاقة بين العلوم الإنسانية ومنهجيات التفكير الناقد؛ فقد مثل القرن الحادي والعشرين تميّزاً واضحاً في إعادة الاعتبار لتمكين العلاقة المنطقية بين اللغة والتفكير الناقد، وقد جاء ذلك طبق منهج علمي قوامه أنّ اللغة هي التفكير ذاته، ولتأسيس ذلك وفق رؤية علمية صارمة فقد تأسست قراءات علمية جديدة تعلي من إجراءات التفكير الناقد في كل المسائل المعرفية في العلوم الإنسانية.

أمّا اليوم فإنّ علوم الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا قد فتحت الباب على مصراعيه وأدخلت ذاتها في صميم التفكير الناقد في البحث اللغوي، إذ إنّ المعالجات الآلية للغة (بوصفها وجه الورقة الآخر من التفكير) تعدّ منطلقاً رئيساً لأي عمليات نقدية وبحثية معاصرة، ولم يعد الفصل بين اللغة والتفكير والتكنولوجيا مقبولاً وفق تصوّرات الأجيال المعاصرة، وقبل ذلك كانت مثل هذه العلاقة مسرحاً لجدل لم يقد إلى نتائج صحيحة، فقد وصلت الأبحاث العلمية المعاصرة إلى خلاصة مفادها أنّ العلاقة بين اللغة والتفكير والذكاء الاصطناعي علاقة وثيقة لا يمكن إنكارها، إذ إن التفكير الناقد محرك رئيس لعمليات إنتاج اللغة وتنظيمها وترتيبها، وخير دليل على ذلك من أنّ الخطاب الاتصالي يقوم أساساً على عمليات تفكير ناقدة عميقة، فنحن عندما نتخاطب مع الآخرين نفكر معهم ونقبل نقدهم، ونعود فنفكر في خطابنا وننقده، إنّ عمليات التفكير الناقد المستمرة هذه تقود إلى تنقية الخطاب الاتصالي والارتقاء به إلى أعلى مستويات الرقيّ الإنساني.

إنّ المؤتمر الدولي العلمي «آفاق التفكير الناقد في العلوم الإنسانية - رؤية نقدية بين الحداثة والتقليد» مثل محاولة علمية جادة سعت إلى تقديم مقاربات جديدة لفهم العلاقة بين التفكير الناقد والعلوم الإنسانية، وقد ورد إلى هذا المؤتمر واحد وتسعون ملخصاً بحثياً من إجمالي مائة وستة تمّ التقدم بها، وانتهى إلى خمسة وثلاثون بحثاً علمياً محكماً شاركت في المؤتمر، من إجمالي ستة وخمسين بحثاً، من أربع عشرة دولة منها الإمارات والجزائر والمغرب وتونس ومصر والعراق والأردن وسلطنة عمان والكويت.

وجاء ذلك وفق محاور رئيسة هي:

1. ضوابط وروافد التفكير الناقد في العلوم الإنسانية: منطلقاته النظرية وتطبيقاته.
2. النقد بين توظيف الذكاء الاصطناعي وتنوع مصادر المعرفة.
3. أصول الاجتهاد ونقد الاستدلالات في التراث الإنساني.
4. التفكير الناقد في العملية التعليمية.
5. التفكير الناقد وعلوم المكتبات والمعلومات.

وقد خلصت مقاربات المؤتمر وأبحاثه إلى نتائج علمية تمثلت في الآتي:

- تضمين مهارات التفكير الناقد في المناهج التعليمية فيما قبل الجامعة باعتبارها أساسًا للعملية التعليمية.
- تشجيع البحوث التي تعنى بالتفكير الناقد في الموروث الثقافي العربي.
- استثمار الذكاء الاصطناعي في المسائل الفقهية وخدمة السنة النبوية.
- ابتكار أدوات قياس التفكير الناقد في العلوم الإنسانية لرصد فرص التحسين.
- تجديد الطرائق والوسائل التعليمية وأساليب التقويم.
- إعداد المعلمين عن طريق دورات متخصصة لاستثمار قدراتهم في تنمية التفكير الناقد عند طلابهم.
- استثمار مهارات التفكير الناقد في النقد اللغوي المعاصر.
- استثمار الذكاء الاصطناعي في تحليل وتقييم وتوظيف البنى المعرفة في العلوم الإنسانية.
- تدارس الأصول المنهجية الإجرائية التي يقوم عليها التفكير الناقد في العلوم الإنسانية.
- تحديث الناقد التربوي ماديا ومعنويا.

إنّ هذه النتائج العلمية الدقيقة تقود إلى فتح مجالات جديدة في إجراء البحث المعرفي لتمكين العلاقة بين التفكير الناقد والعلوم الإنسانية، وهو ما نأمل من خلال جهود العلماء والباحثين في أن يستثمروا معطيات التكنولوجيا المعاصرة لرصد العلوم الإنسانية بمسارات جديدة من أنماط التفكير الناقد والبحث العلمي.

والحمد لله رب العالمين.

المناهج النقدية وتأثيرها في نظريات العلوم الإنسانية قديما وحديثا

د. بلقاسم مارس

مخبر الدراسات السرديّة كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس، تونس

ملخص

لا ريب في أنّ المناهج التّقديّة على تنوّعها وتعدّدها قد جعلت من أبرز غاياتها ومقاصدها تدبّر فهم أعمق للموضوعات ولمختلف الظواهر الفنّيّة، ذلك أنّ طرائق التّحليل هذه من شأنها أن تساعد على تبيّن القصدية واستدعاء الدّلالة، فمختلف العلوم الإنسانيّة يمكن أن تستبطن موضوعات تستجيب لمقاربات عديدة، والدّراسة من هذه النّاحية محاولة لتدبّر أثر المناهج التّقديّة في نماذج من هذه العلوم الإنسانيّة.

ولكي تتدرّج من العامّ إلى الخاصّ نروم من خلال هذه الدّراسة تقليب النّظر في أثر المناهج التّقديّة في فرع من فروع العلوم الإنسانيّة وهو الظّاهرة الأدبيّة، ونقصد الأدب بمفهومه الشامل والواسع وليس بمفهومه الضيق أي ما يشتمل عليه من رموز وأساطير وعادات وتقاليد وفنون.. وغيرها، أي تفسير تلك النّصوص الأدبيّة وفهمها وتحليل مختلف الرّموز الموجودة فيها، فقد ظلّ التّساؤل عن الأدب ووظائفه شاغلاً قائماً في الأذهان، ولعلّ الإجابة عن ذلك ستُسهم في فهم الثّقافة والتّحولات الاجتماعيّة والتّاريخيّة والثّقافيّة، إنّ مُقاربة المناهج التّقديّة بهدف دراسة النّصوص الأدبيّة وفهمها وتحليلها هي عمليّة ستسمح بتوجيه البحوث وفهم الظّواهر المختلفة وتطوير الحوار في العلوم الإنسانيّة وأخيراً العمل على كشف المعاني العميقة والرّمزية في الأعمال الثّقافيّة والفنّيّة.

Abstract

By critical approaches, we mean the various methods and approaches that researchers and critics follow in studying and analyzing cultural, artistic, literary, and human works and phenomena. There is no doubt that these critical approaches, despite their diversity and multiplicity, have made one of their most prominent goals and objectives a deeper understanding of subjects and various artistic phenomena, because these methods of analysis are among the most important. It would help to reveal intentionality and evoke significance. This is because the various human sciences can contain topics that respond to many approaches. From this point of view, the study is an attempt to manage the impact of critical approaches on models of the humanities, and gradually from the general to the specific. The question about literature and its functions has remained a preoccupation in the minds, and perhaps the answer to that will contribute to understanding culture and social, historical, and cultural transformations. Revealing deep and symbolic meanings in cultural and artistic works.

المقدّمة

نقصُ بالمنهج التّقديّة [méthodes critiques] تلك الأساليب والمقاربات المتنوّعة التي يتّبعها الباحثون والتّقاد في دراسة الأعمال والظواهر الثقافيّة والفنيّة والأدبيّة والإنسانيّة وتحليلها، ونستعمل كلمة المنهج في هذه الدراسة باعتباره مصطلحاً فلسفيّاً، تميّزاً له عن (اتّجاه) أو (نظريّة)، وبالعودة إلى ديكارت Descartes (ت1650) في مقالته (discour de la méthode) «مقال في المنهج» نجده يعرف كلمة (منهج) [méthode]- بأنه «فن البرهان العقلي الذي يمكن استخدامه في العلوم الرياضيّة والطبيعيّة على السواء»⁽¹⁾. ويضيف ديكارت بأنّ المنهج هو «الفنّ والقدرة على إدارة أفكار المرء وتفكيره واستدلاله بالترتيب»⁽²⁾.

وقد توّسل التّقاد بمختلف المنهج التّقديّة لمقاربة العلوم الإنسانيّة المختلفة باعتبارها نظاماً من العلامات وحاولوا تبيّن مواطن الجدة والطرافة فيها غايتهم تمييز الجيد من الرديء، وقد امتدّ هذا التأثير ليشمل مجالات أوسع من العلوم الإنسانيّة، حيث تطوّرت التّظريّات التّقديّة المتعلّقة بالهيمنة والسّلطة والطبقة الاجتماعيّة والجنس والعرق وغيرها، وقد أثّرت هذه التّظريّات في تحليل الظواهر الأدبيّة والاجتماعيّة وفهمها، من ذلك ما نقف عليه في المدوّنة التّقديّة القديمة من رؤى ومواقف نقديّة واجتماعيّة تربط بين الأدب والمجتمع تلك التي يتردّد صداها في مؤلّفات الجاحظ⁽³⁾ (ت 255 هـ) وصوتيّة عند ابن سنان الخفاجي⁽⁴⁾ (ت 466 هـ) وأخلاقيّة عند ابن قتيبة⁽⁵⁾ (ت 276 هـ) وجماليّة عند عبد القاهر الجرجاني⁽⁶⁾ (ت 471 هـ) من خلال نظريّته في التّظلم وذوقيّة تأثريّة عند ابن طباطبا العلويّ⁽⁷⁾ (ت 322 هـ) في عيار الشّعريّ وتطبيق للمناهج اليونانية على الشّعريّ ونظريّة المحاكاة

1- ديكارت، «مقال عن المنهج» ترجمة محمود الخضيرى، تقديم: عثمان أمين، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2000 ص.71-72.

2- Jilani Chabih. <https://www.oujdacity.net/national-article-99608-fr/la-methode-chez-descartes>.

3- الجاحظ، كتاب البخلاء: تح: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ط7، 1990م.
4- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلميّة الطبعة: الطبعة الأولى 1982.
5- ابن قتيبة، الشعر الشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث العربي، القاهرة، ط3، 1977.
6- عبد القاهر الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط، 2.
7- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، (د.ت)، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص11.

عند حازم القرطاجني⁽¹⁾ (ت 684هـ) وغير ذلك كثير ممّا لا يتّسع المجال لذكره.

أمّا في مجال المناهج الحديثة فالتطور ههنا لافت للانتباه، حيث العلاقة بين المناهج النّقديّة والطّاهرة الأدبيّة وطيدة، وقد تجلّت أساسًا في بروز مدارس نقديّة عديدة وسمناها بالمناهج السّياقيّة (المنهج الاجتماعي، المنهج التاريخي، المنهج النفسي، المنهج السّوسيوولوجي...) ليمرّز فيما بعد ما يُعرف بالمناهج الأنساقية (المنهج الشّكليّ، المنهج البنيوي، المنهج التّداوليّ، المنهج الإنشائيّ..). وقد تجلّت هذه المحاولات النّقديّة في كتابات النّقاد على اختلاف مدارسهم وتوّعها من ذلك ما نعرّث عليه في دراسة جاكوبسن «-Jakop son» (ت 1982) للنصّ الشّعريّ وفي أعمال تودروف «Todorov» (ت 2017) الدائرة على القصص من اهتمام بنحو الشّعْر عند الأوّل⁽²⁾ ونحو القصص عند الثّاني⁽³⁾، وهو ما شكّل تحوّلًا واضحًا في الرّؤية النّقديّة وفي التّقنية الفنيّة التي بواسطتها تُقارَب الطّاهرة الأدبيّة، وبظهور «الانفتاح على الاتّجاهات النّقديّة الحداثيّة أصبحت الطّاهرة الأدبيّة تشكّل محورًا من محاور الجدل الثّقافيّ في الوطن العربيّ بمشرقه ومغربيه حيث انقسمت بين منبهر ورافض»⁽⁴⁾، حيث تعلّقت همّة بعض النّقاد بالدلالات والمعاني وانصرف بعضهم الآخر إلى استنباط مقوّمات الأدب في النصّ السّرديّ وآلياته والنّظر في مقوّمات الشّكل الفنيّ الذي ينهض عليه النصّ الأدبيّ، وحاول بعض النّقاد العرب⁽⁵⁾ الإفادة من مختلف النّظريّات

- 1- ابن حازم القرطاجني، «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، عن دار الغرب الإسلامي - تونس، الطبعة الثالثة، سنة 1986.
- 2- Roman Jakobson - huit questions de poétique éd Seuil - coll. point Paris 1977 p89.
- 3- Tzv etan Todorov - Poétique de la prose éd Seuil coll. poétique Paris 1971- p 118.
- 4- زهيرة بارش- الدرس السّرديّ في الخطاب النّقديّ مقارنة تحليلية في نموذج سعيد يقطين رسالة ماجستير الجامعة الجزائرية 2014.
- 5- تعددت الدراسات وتنوعت في هذا المجال: أنظر عل سبيل المثال:
- محمد القاضي: - تحليل النصّ السّرديّ بين النظرية والتطبيق دار الجنوب للنشر 1977.
- الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية الطبعة الأولى كلية الآداب بمنوبة تونس ودار الغرب الإسلامي بيروت 1998.
- محمد الخبو، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة دار صامد للنشر والتوزيع 2003.
- مداخل إلى الخطاب الإحالي-مكتبة علاء الدين صفاقس 2007.
- محمد رشيد ثابت، روايات عبد الرحمان منيف: أشكالها ودلالاتها: كلية الآداب والعلوم الإنسانية منوبة 1990 مرقونة.
- البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى ابن هشام: الدار العربية للكتاب 1975.
- أحمد السماوي، فنّ السّرديّ في قصص طه حسين. صفاقس. مط. التّفسير الفنّي. 2000.
- محمود طرشونة، إنشائية المنهج في النقد الأدبي - دار المعارف للطباعة والنشر سوسة تونس 2000.

التقديّة التي تتخذ من الأدب مجال بحث لها، بما أنها نظريات نقدية بها يُقارب النصّ الأدبيّ وتؤسّس في نفس الوقت لإقامة خطاب أدبيّ ونقديّ متميّزين ينهلان من مختلف التجارب الأدبية ويحاورانها ويحاولان أن يؤسّسا لهيئات تعبيرية يمكن الوقوف عندها.

إنّ الخطاب النقديّ بما بلغه من تطوّر جوهريّ في مختلف مجالاته يسعى بدوره إلى تأسيس أدب جديد متعدّد في مبادئه ومتنوّع في معانيه ودلالاته الفنيّة، بل إنّنا نعتقد أنّ هذه الوظيفة «وظيفة تأسيس خطاب أدبيّ جديد» هي مبرّر وجوده و مبعث تطوّره، لكونه يبحث فيما تتفرّد به الذات المتلقّظة لتُخبر عن وجوه تميّزها وهيئة جريان اللّغة لديها على نحو مخصوص يجوزُ معه أن تُنسب الكلام المتلفظ به إلى هذا الكاتب لا لغيره، ولكونه يشتمل على مظاهر التلقّظ «فقد أُعتبر ذلك من أبرز الأسباب التي جعلت الخطاب غير ذي حظّ كبير من الدرس»⁽¹⁾.

إنّ هذه المناهج التقديّة تزوم الخوصّ في قصديّة المؤلّف ولا سيّما قصديّة المتلفظ. وهو ما يستوجبُ النَّظَرَ في تأويل المسرود من خلال تبيين المُنطلقات النَّصيّة وطرائق التّعبير عنها، وما يُمكن أن يلتبس بها من رؤى إيديولوجية توجّه عملية التلّفظ وتأويلها في الوقت نفسه باعتبارهما موازيات خارجيّة بائنة للمعنى وداعمة للتأويل وبالتالي مفسّرة لمختلف الطّواهر في العلوم الإنسانيّة، ونزعم أنّ ذلك يمكن أن يعدّ من الوظائف المُشتركة بين مُنشئ الملفوظ ومُتلقيه «القارئ»، فالعلاقة وطيدة بين المتلفظ والمُؤوّل صاحب الفعل القرائيّ والمُنتج للمعنى أثناء عمليّة التّأويل تأكيدا لغاية جمالية التقبل القائمة على تحويل الانتباه من الشائبة كاتب / نص إلى شائبة نص قارئ⁽²⁾.

أولا: أثر المناهج التقديّة القديمة في الظاهرة الأدبية:

غنيّ عن البيان أنّ تأثير المناهج التقديّة في نظريات العلوم الإنسانيّة موضوع اهتمامنا في هذه الدّراسة يعود إلى فترة قديمة، ويمكن إدراجه ضمن ما يُعرف بالدّراسات البيئيّة وتأثير الحقول المعرفيّة بعضها في بعض، «وهو تأثير وتأثر مازال مستمرا حتى الوقت

1- Pierre Van Den Heuvel- parole - mot - silence- pour une poétique de l'énonciation librairie José Corti- 1985- pp22.

2- أحمد الودرني، نظرية المعنى، ط1، مركز النشر الجامعي، تونس 2007، ص 95.

الراهن ولن يتوقف»⁽¹⁾، ففي العصور القديمة، تأثرت العديد من النظريات الفلسفية والأدبية بالمناهج النقدية، وأصبح هذا التوجه في النقد جزءاً أساسياً من النظرية الأدبية والفلسفية نفسها، بل شرطاً من شروط وجودها، من ذلك ما فعله أرسطو حين طور نظرية النقد الأدبي وكتب عنها في مؤلفاته، وقد أثرت هذه النظرية في العديد من النظريات والتوجهات اللاحقة في العلوم الإنسانية.

ويمكن القول أنّ المناهج النقدية القديمة على اختلافها وتنوعها كان لها دورٌ فاعلٌ في تطوير الأدب وفهم القيم الجمالية والأخلاقية للمجتمعات القديمة، باعتبار أنّ الأدب (شعرًا ونثرًا) مهارات نوعية مؤثرة في الجمهور يمكن عدّه من أبرز الوسائل المتاحة للتعبير عن الأفكار والمشاعر والقيم، وفضلاً عن ذلك فإنّ هذه المناهج النقدية ستسمح بتنوع الأساليب والأدوات، ممّا يسمح بتطبيقها لفهم مختلف الظواهر الإنسانية، ولا شك أنّ هذا التنوع سيُساهم بدوره في تقديم رؤى متعدّدة وشاملة للموضوعات المدروسة، وللوقوف عند مختلف التأثيرات التي أحدثتها المناهج النقدية في الظاهرة الأدبية رأينا أنّ نتوقف عند نماذج⁽²⁾ من المناهج النقدية القديمة التي يمكن أن تساعدنا على تتبع تأثيرها في الظاهرة الأدبية باعتبارها علماً من العلوم الإنسانية.

أولاً: ابن طباطبا العلوي... عيار الشعر، الفهم الثاقب:

يعتبر «ابن طباطبا العلوي» صاحب نظرية مستقلة عمادها الذوق ولا شك أنّه قد صاغها متأثراً في ذلك بمختلف التيارات الفلسفية السائدة في عصره، وجعل لهذه النظرية مقاييس ومعايير تحدّد مفهوم الشعر وماهيته ووظيفته وأدواته وكيفية صناعته من خلالها

1- يُجمع أغلب النقاد الذين تناولوا مسألة المناهج النقدية في علاقتها بالعلوم الإنسانية على أنها محكومة بالتأثير والتأثر، وأن دراسة هذه المسألة تنضوي تحت ما يُعرف بالدراسات البينية، وأنّ هذه العلاقات تبدو متداخلة ومتشابكة عصيّة على التحديد بالرغم من محاولة الدارسين محاصرة هذه المفاهيم وتمثّلها، فهي مفاهيم إشكالية... ينظر: من هؤلاء النقاد نذكر:

- الخبو، محمد: مدخل إلى الشعر العربي الحديث، دار الجنوب للنشر ومفاتيح، ط1، 1995، ص 37.
- محمد الهادي الطرابلسي: في مفهوم الإيقاع، حوليات الجامعة التونسية، العدد32، سنة 1991، ص، 8، 9.

2- اقتصرنا في هذه الدراسة على ثلاثة نماذج من المناهج القديمة وهي: عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، والموازنة بين أبي تمام والبحثري، إذ لا يتسع المجال للوقوف عند كلّ النظريات النقدية القديمة، فهي مقاربات عديدة ومتنوعة حفل بها القرن الثاني وكذلك ثالث والرابع للهجرة وما بعدهما.

يستطيع الناقد تمييز الشَّعر الجيِّد من الرَّدِيء، والشَّعر عنده «كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله النَّاس في مخاطباتهم بما خص به من التَّظْم الذي إذا عدل به من جهته مجته الأسماعُ وفسد على الدُّوق ونظمه معلوم محدود، فمن صحَّ نظمته وطبعه ولم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشَّعر بالعروض التي هي ميزانه ومن اضطرب عليه الدُّوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحدق به حتى تعتبر معرفته الاستفادة كالطَّبع الذي لا تكلف معه»⁽¹⁾.

وتنهض نظرية «ابن طباطبا» الجماليَّة على معيار العقل، فالناقد بعقله المُدرك لأسرار الجمال يمتلك ما يسمِّيه «ابن طباطبا» بالفهم الثاقب، على أنَّه يربط هذا الفهم بفعل الحواسِّ (التذوُّق، السَّمع، البصر...) «فللشَّعر الموزون إيقاع يطرَّب الفهم لصوابه»⁽²⁾ متى توقَّرت معادلة (تركيب الوزن وصحة المعنى وسلامة اللفظ)، إنَّ الحواس في عرف ابن طباطبا هي معيار الحكم على الشعر بالجودة أو الرداءة، ذلك أنَّ الشعر عنده «يعود إلى انتظام عناصره والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه كما قال بعض الحكماء: الكلام جسد وروح فجسده النَّطق وروحه معناه»⁽³⁾.

وتنهض نظرية «ابن طباطبا العلوي» في قسم كبير منها على تلك الحالة النفسيَّة والخلفيَّات الثقافيَّة التي سيكون لها دور حاسم في عمليَّة التَّمييز والحكم على جودة النَّص الشَّعريِّ من عدمها، «فللشَّعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه فمن تعصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلفه منه وبان الخلل فيما ينظمه ولحقته العيوب من كلِّ جهة»⁽⁴⁾، وربما لهذا السَّبب أفرد «ابن طباطبا» لعمليَّة التَّلقي حيِّزا مهمًّا في نظريته حتى عدَّت جماليَّات الإيقاع في النَّص الشَّعريِّ على سبيل المثال ودراسة طرائق تشكُّلها صوتًا مُنظمًا لتأدية المعنى، إذ يُحدث التَّفَسُّ الإيقاعيُّ أثرًا في ذات المتقبَّل يُشاكل المعاني ويعضدها، و يُؤسِّس لتفردها، فكأنَّ الصَّوت (الإيقاع) في نظرية ابن طباطبا يفصح المعنى ويؤسِّسه في آن. وتُصبح آنذاك حركة الوزن طبقاً لهذا المفهوم متماهيَّة مع حركة المعنى ومتشاكله معها، ومحدَّدة لها في أحيان كثيرة. حتَّى أنَّها تتدخَّل في طرائق تشكيل التَّسيح

1- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، (د.ت)، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 7.

2- م، ن، ص 53.

3- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص 11.

4- م، ن، ص 04.

الصوتيّ والدلاليّ على حدّ سواء. وفي طرائق النّظم وسُبل بناء النّصّ وبالتالي المساهمة في جمالية التقبل وتفعيلها من خلال الربط بين البناء الشعري واللّذة، «فإذا خلا الشّعر من الموسيقى أو ضعفت فيها إيقاعاتها خُفّ تأثيره واقترب من مرتبة التّثر»⁽¹⁾.

إنّ علم الشّعر، بما أنّه صنعة لها قواعدها وأدواتها عند ابن طباطبا فهو يستوجب ثقافة نقدية تلم بقواعد التلقّي وأصولها. «ومن هنا يتجلّى مستوى التّضح الفكريّ الذي بلغه نقد القرن الرّابع هجريّ حين راح يتجاوز الأحكام الانطبائية إلى ممارسة التّحليل والإقناع جامعًا بين الثقافتين التّقليّة والعقليّة في تحديد المفاهيم»⁽²⁾.

إنّ الغاية الأساسيّة التي ننشدها من خلال هذا العرض لمنهج «ابن طباطبا» الوقوف على تأثير هذا المنهج في الظّاهرة الأدبيّة حيث يساهم المنهج النقديّ في توجيه البحث والتّحليل والفهم للظواهر الإنسانيّة المختلفة. ولعلّها هي الغاية نفسها التي يرومها صاحب «عيار الشّعر» حين أقر بأنّ صناعة الشّعر تستوجب «التّوسّع في علم اللّغة والبراعة في فهم الإعراب والرّواية لفنون الآداب والمعرفة بأيّام النّاس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم»⁽³⁾، وهو ما سيّتح للشّاعر والمتلقّي على حدّ سواء «الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشّعر والتّصرف في معانيه في كلّ فنّ قالته العرب فيه وسلوك مناهجها وإيفاء كلّ معنى حظه من العبارة وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زي وأبهى صورة واجتناب ما يشينه حتى لا يكون متفاوتًا مرقوعًا، بل يكون كالسبيكة والوشم المنمنم والعقد المنظّم واللّباس الرّائق»⁽⁴⁾، فكأنّ هذا المنهج النقديّ الذي سلكه «ابن طباطبا» يقدّم لنا إطاراً منهجيّاً من شأنه أن يساعد الباحثين والعلماء على توجيه بحوثهم وتحليلها بشكل منهجيّ ومنظّم تعمل من خلاله هذه المناهج في تحديد الأسئلة المهمّة والجوانب الرئيسيّة التي يجب دراستها في المجال الإنسانيّ ولا سيّما الظّاهرة الأدبيّة.

ثانياً: ابن قتيبة كلّ قديم كان جديداً في عصره:

ما من شكّ في أنّ عصر ابن قتيبة قد تميّز بتنامي الخصومات بين مختلف الشّعراء وهو ما أفرز في الوقت نفسه خصومات نقدية وأدبية ذكّت روح الحوار والجدال بين مختلف

- 1- السلطاني، محمد علي: العروض وموسيقى الشعر العربي، جامعة دمشق 1982 ص 07.
- 2- محمد القروي، نظرية التلقّي عند ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر، منشورات معهد اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2012ص46.
- 3- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص04.
- 4- م، ن، ص04.

التيارات النقدية وفي هذا الإطار عرض ابن قتيبة آراءه في كتابه «الشعر والشعراء» وذكر مشاهير من الشعراء معددا أخبارهم وأنسابهم وإبداعهم الشعري وطبقاتهم، وعرض من خلال هذا المؤلف ما يمكن تسميته بـ «نظرية المعنى» وهي رؤى ومواقف تضبط النص الشعري مطبوعاً كان أو متكلفاً، ولعل المتأمل في مختلف تفاصيلها وأدواتها يجدها تُخبر عن علو كعبه في مجال النقد وشغفه برصد الظاهرة الأدبية في عصره ومحاولة مقاربتها.

وقد قسم ابن قتيبة الشعر إلى أربعة أنواع معتمداً في ذلك على موقفه من ثنائية «اللفظ والمعنى» باعتبارهما أساس الإبداع الأدبي، وعلى هذا الأساس سيحاول صياغة نظرية أدبية ونقدية تسعى إلى مقارنة النص الأدبي وتأخذ بعين الاعتبار مناسبة اللفظ للمعنى وضرورة التكامُل والتوافق بين الشكل والدلالة، وواضح لدينا أنّ دلالة المعنى عند ابن قتيبة تُحيل في المقام الأول على تلك الفكرة المجردة العقلية⁽¹⁾ التي قد تتماهى مع الصورة الشعرية وما يمكن أن يحدثه ذلك من سُبل التّواصل بين الباتّ والمتقبل عن طريق الخطاب الشعري، أما اللفظ عند ابن قتيبة فيمثل الشكل الخارجي للكلام⁽²⁾، وبناء على هذه الثنائية يذكر ابن قتيبة أنه «تدبر الشعر فوجده أربعة أضرب»⁽³⁾، مقياسه في ذلك ثنائية أخرى متصلة شديد الاتصال بثنائية اللفظ والمعنى وهي الحسن والجودة: أما الضرب الأول فهو نوع يمثل ما حسن لفظه وجاد معناه، وأما الضرب الثاني فهو ما حسن لفظه وقصر معناه، والنوع الثالث ما حسن معناه وقصر لفظه، أما الضرب الرابع فهو نوع قصرت ألفاظه ومعانيه وهو ما اعتبره ابن قتيبة شعراً رديئاً.

واضح من خلال ما تقدّم أنّ ابن قتيبة يقدم لنا معياراً آخر في مقارنة النص الأدبي قوامه المعيار الأخلاقي، فبواسطته تقاس جودة الشعر وجمالياته ورياءته وسلبياته، ولما كان كلام ابن قتيبة في الشعر والشعراء هو بمثابة النظرية فقد استدعى الكلام في جودة الشعر وحسنه الحديث عن طريقتين في قول الشعر وهما الطبع والتكلف (أنصار المتكلف وأنصار المطبوع من الشعراء).

إنّ موضوع التّكلف في الشعر عند ابن قتيبة يكاد لا يختلف كثيراً عن موضوع الصنعة الشعرية «فالتكلف بالمعنى الذي ذكره ابن قتيبة يختلط بفكرة الصنعة الفنية فلا يناقضها

1- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 12.

2- م، ن، ص 12.

3- م، ن، ص 13.

ولا يجافيهها»⁽¹⁾، وهو معنى نستشف منه معنى «التنقيح والتّهذيب ومعاودة النَّظر في الشّعر»⁽²⁾، فالمتكلف عند ابن قتيبة هو الذي «قوّم شعره بالتثقيف ونقّحه بطول التّفتيش وإعادة النَّظر فية كزهير والحطيئة»⁽³⁾، إنّ البيت المصنوع عند ابن قتيبة هو البيت الذي وقع تهذيبه وتنقيحه ومعاودة النَّظر فيه كأشعار زهير والحطيئة اللذين نقّحا أشعارهما ولم يذهبا فيهما مذهب المطبوعين على ما يذكر بن قتيبة⁽⁴⁾، وغاية هذا التّنقيح والتّهذيب أن يخرج للناس وقد استكمل عناصر الجودة والحسن فيستملحونه ولا يستقبحونه.

أما الطّبع في ميزان ابن قتيبة فهو يكاد يتّصل بالموهبة والالهام والملكة والقدرة على قول الشّعر والاعتدال على القوافي، أي أنّه شعر على السّجية كيفما كان دون مراجعة وتهذيب أو تحوير، وهذه القدرات على قول الشّعر متفاوتة ومختلفة اختلاف قدرات الشّعراء وتباينها، فالشّاعر قد يخونه الطّبع في غرض شعريّ ويحسن في غرض آخر، على أنّ ابن قتيبة قد وضع شروطًا كثيرًا ما يتطلّبها الشّعر المطبوع قوامها امتلاك الشّاعر لطبع سليم واطلاعه على صناعة الشّعر وفنونه وعدم إثقال المنجز الشعريّ بالمحسنات البديعيّة والابتعاد على وحشي الكلام والمعاني البسيطة.

ثالثًا: الموازنة بين أبي تمام والبحرّيّ للآمدي:

لم يخرج الآمدي (ت 371 هـ) في موازنته بين الشّاعرين عن الثنائية السابقة (الشّعر المصنوع والشّعر المطبوع) وقدم لنا في موازنته مذهبين فنيين: الأوّل مذهب أبي تمام (مذهب الصّناعة) والمذهب الثّاني للبحرّي (مذهب الطّبع)، والموازنة هنا فعل نقديّ غايته مقارنة معاني الشّاعرين ومعرفة مذهبهما في فنون الشّعر والأدب في محاولة منه لإثبات فحولة الشّاعرين وتصنيفهما بالنّظر في نظمهما، ومن أجل هذه الغاية عمد الآمدي إلى اتّباع منهج مخصوص في هذه الموازنة نستشفه من خلال قوله «وأنا أبتدأ بذكر مساوي هذين الشّاعرين لأختم بمحاسنهما»⁽⁵⁾، ويتدرّج الآمدي في ذكر مختلف المراحل التي يسلكها للموازنة بين الشّاعرين «وأذكر طرفًا من سرقات أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره

1- عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر الشريف، القاهرة، 1978، ص 169.

2- م، ن، ص 178.

3- ابن قتيبة، الشعر والشّعراء، ص 122.

4- م، ن، ص 21، 21.

5- الآمدي، أبو القاسم، الموازنة، تحقيق السيد أحمد صقر، ط. دار المعارف. مصر 1961 م، ج 1، ص 54.

ومساوئ البحثري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام وغير ذلك من غلظه في بعض معانيه ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة، إذ اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ثم بين معنى ومعنى، ثم أذكر ما انفرد كل واحد منهما وأفرد بابا لما وقع في شعريهما من تشبيه ثم أتبع ذلك باختيار المجرد من شعرهما»⁽¹⁾.

لعلّ المتأمل في مختلف الأفعال النقدية التي ذكرناها في هذا الشاهد يلحظ بما لا يدع مجالا للشك أنّ الموازنة بين الشاعرين تروم الكشف عن الشعر الجيد وتمييزه عن الرديء، وأنّ الهدف الأسمى لدى الناقد ومنهجه هو الارتقاء بالظاهرة الأدبية وتطويرها وتجويدها وإثراء التيارات النقدية الفاعلة آنذاك حتى تلقى إقبالا لدى قراء الشعر العربي والوقوف على وجوه التفرد والتميز فيه.

غير أنّ محاولة الأمدي تقنين هذه الموازنة لم تمنعه من انحيازه لشاعر دون آخر والذي بدا واضحا وجليا من خلال تفضيل البحثري على أبي تمام، والمرجح أنّ هذه الموازنة بين الشاعرين قد قامت على مدى التزام كلّ منهما بعمود الشعر الذي انزاح عنه أبو تمام في حين كان البحثري أكثر التزاما به، ومآتى الموازنة خصومة نشبت حول الطائين وهو ما ذكّى تفاعل النقاد واصطفاف بعضهم إلى شاعر دون آخر، ولا يختلف الأمدي عن هؤلاء النقاد وإن حاول ادعاء الموازنة بين الشاعرين وتوظيف منهج علمي مفيدا من خبرته النقدية وشيوع معايير الجودة والرداءة المختلفة في ذلك العصر، غير أنّنا لا نختلف في أنّ هؤلاء النقاد على اختلافهم وتنوع اتجاهاتهم ولا سيّما الأمدي كانوا على وعي بتطور الظاهرة الأدبية (الشعر خاصة) وضرورة صياغة ميثاق نقديّ هو بمثابة المنهج الذي من خلاله يدرك المتلقّي فحولة الشاعر ويتعرف إلى المعاني الشعرية قديمها وحديثها، ولا شك أنّ لهذه الموازنات والمقاربات التي طالت النصّ الشعريّ قد أسهمت بقسط كبير في تمييز جيد الشعر من رديئه ووضعت مقاييس على أساسها يقع التمييز والحكم على المنجز الشعريّ.

وحرى بنا في هذا المقام أن نؤكد على أنّ الغاية الأساسية هي تتبع أثر فعل الموازنة على الظاهرة الأدبية في عصر الأمدي، فقد أسهم ذلك في تطوير الشعر العربيّ وجعله أغنى وأعمق من الناحية الفنيّة والأدبيّة، فجاءت الموازنة بين الشاعرين بشكل دقيق ومتقن - برغم محاولة الانحياز لشاعر على آخر - ساهم في إبراز جمال اللغة الشعرية وإظهار الأفكار

والصّور البلاغيّة من خلال مذهبين شعريين يأتلفان ويختلفان في آن، وما كان للمتلقّي أن يتعرّف على مظاهر الجودة والحسن في هذه المذاهب الشعريّة والنصوص الإبداعية لولا شيوع هذه النظريات النقديّة ومقاربتها للنصّ الشعريّ وللظاهرة الأدبيّة بصفة عامّة.

ولا شكّ أنّ تقنين الظاهرة الأدبيّة ومحاولة المناهج النقديّة وضع أسس منهجية لها - سواء في منهج ابن قتيبة أو في عيار الشعر لابن طباطبا العلوي أو في موازنة الأمدي أو في غيرها من المناهج النقديّة القديمة التي لم نعرض لها - قد أتاح تقويم العمليّة الأدبيّة وإثرائها من خلال العمل على تحليل المنجز الأدبيّ ومحاولة فهمه وتفسيره وتحليله والوقوف على وجوه التفرّد والتّمييز ومقارنته من حيث الجودة والرداءة، كما أنّ تقنين الظاهرة الأدبية ووضع شروط لها قد مكّنا من دراسة تأثير المنجز الأدبي على المتلقّي / القارئ الجمعيّ، ذلك الذي يعمل من خلال فعل القراءة والتأمّل على تبين أثر الظاهرة الأدبيّة على الثقافة والذّوق والفهم الإنسانيّ.

إنّ تقنين الظاهرة الأدبيّة على شاكلة ما أورده النقاد العرب القدامى من شأنه أن يساعد على إثراء فهمنا للأدب والتفكير فيه بعمق. فعملية التقنين (عمود الشعر مثلاً) أداة مهمّة في البحث الأكاديمي والدراسات الأدبية للكشف عن العديد من الجوانب الرمزية والثّقافيّة والتاريخيّة التي تتضمّننها مختلف الظواهر الأدبيّة شعراً ونثرًا، ومن ثمة تطوير آفاق التفكير الناقد في العلوم الإنسانيّة ومحاولة إثرائها من خلال:

- تطوير عمليّة التثاقف: ذلك أنّ المناهج النقديّة من شأنها أن تساهم في تطوير عمليّة التّقاش والحوار في مختلف الظواهر الأدبيّة ولا سيّما ظاهرة الشعر من خلال توفير أطر تحليليّة ونظريّة يصبح معها بالإمكان تقديم آراء وافتراسات محدّدة تُسهّم في توجيه عمليّة فهم الأدب وتطوير الفكر ونقده وطرح بديل إبداعيّ لا يقطع مع الموروث الشعريّ لكنه يكمله ويثريه.

- استدعاء المعاني المستحدثة: إنّ المناهج النقديّة التي تقارب الظاهرة الأدبيّة من شأنها تطوير النصّ الشعريّ من خلال الكشف عن جماليات مستحدثة لم يتداولها الأوائل، فتنزّح هذه المعاني المستحدثة عن سابقاتها وتسهم في قراءات متعدّدة للنصّ الشعريّ قد لا تتوافق مع قراءات النقاد القدامى للظاهرة الشعريّة.

- توسيع النظريات النقديّة: إنّ محاولة صياغة مناهج نقديّة تقارب الظاهرة الأدبيّة هو

في نفس الوقت إثراءً لهذه المناهج والأحكام النقدية وبيان أثرها في العلوم الإنسانية بصفة عامة ولا سيما الظاهرة الأدبية، فمن خلال هذه المناهج يمكن توسيع دائرة الفهم للأدب وتدعيمها وتطوير أساليب الكشف عن المستحدث فيها من حيث الأسلوب والمعاني.

- أثر المناهج في عملية التلقي: لا ريب في أنّ المناهج النقدية على تنوعها واختلافها قد ساهمت في تدبّر طرائق التلقي للنص الأدبي، فيسّرت فهمه ووضّحت غاياته ورغبت في عملية القراءة التي ستقود بدورها إلى التقويم والتّقد والموازنة بين مختلف النصوص الشعريّة، وهو ما تنشده أيضًا تلك المناهج من خلال مقاربتها للظاهرة الأدبية بهدف توجيهها وتحليلها وفهمها باستعمال تلك الأحكام والرؤى النقدية، ذلك أنّ تلك الأفكار قد تحوّلت تدريجيًا من مجرد انطباعات عابرة حول قصيدة أو خطبة أو رسالة إلى دراسات ومناهج نقدية وافية شاملة لها تطبيقاتها الدقيقة على الظاهرة الأدبية من قبيل النصّ القرآني والحديث النبوي ودواوين الشعراء والأجناس المختلفة شعرًا ونثرًا، لنصل في النهاية إلى ما يُشبه الموازنة والميزان الذي نزن به الكلام.

ونحن نختتم عرضنا لمناهج القدماء حريّ بنا أن نشير إلى مسألة مهمّة في ثقافتهم فحوها الطابع الموسوعيّ لثقافة القدماء، فالحواجز لديهم بين العلوم والاختصاصات رقيقة جدا إنّ لم تكن منعقدة فابن طباطبا اتّسع الطرح لديه من الشعر والشاعر إلى الفنّ والفنّان، وابن قتيبة من الشعر والشعراء إلى الأخلاق والبرقمية في الشعر والأدب، والامدي من النصّ الأدبيّ إلى الفلسفة والتاريخ وقضية الأصاله والتجديد (الجانب البيني (interdisciplinaire).

ثانيا: أثر المناهج النقدية الحديثة في الظاهرة الأدبية:

ونحن نتقل من مقارنة أثر المناهج النقدية القديمة في العلوم الإنسانية إلى أثر المناهج الحديثة فيها لا يسعنا إلاّ أن نوّكد على أمرين مهمّين وهما:

- علاقة الاستمرارية والتواصل بين المناهج القديمة والحديثة، بل أنّنا لا نستطيع الحديث عن مناهج نقدية حديثة ما لم نصلها بتلك المحاولات الجوهرية والمهمّة التي سادت في عصور مختلفة عند العرب واليونانيين، فالعلاقة بين القديم والحديث قائمة على المحاوره والمثاقفة والتواصل وإفادة من العلوم السابقة لها وتلاحق

المناهج النقدية بعضها من بعض، غير أنّ هذه العلاقة الحوارية لا تمنع من الإقرار بأنّ المناهج النقدية الحديثة قد أصبحت أكثر تعقيداً وتنوعاً ممّا سيسمح بالتّسع المجالات الإنسانيّة التي ستتأثر بها حتى أنّها طالت تحليل الظواهر وفهمها ومعرفة خصائصها وتأثيرها في غيرها من المجالات.

- ثانياً: إنّ الظاهرة الأدبية بحكم قانون التأثير والتأثر قد عرفت بدورها مزيداً من التطوّر والانفتاح بالتوازي مع هذه الثورة التي عرفتها المناهج النقدية الحديثة من ذلك أنّ تقاليد النقد الاجتماعيّ على سبيل المثال أتيح لها أن تستتبّ في البلاد الأوروبية بعد صراع بالغ العنف والضرارة، وقد قامت الأعمال الأدبية بدور بارز في هذا الصراع منذ وقت مبكر⁽¹⁾.

ففي مقارنة الظاهرة الأدبية عملت هذه المناهج النقدية الحديثة على مواكبة التطوّر الكبير الذي بلغته محاولات تجديد آليات التّقد الغربيّ والعربيّ على حدّ سواء ومحاولات تطويع جهازها المفاهيميّ لمقاربة نصوص أدبية مختلفة، خاصّة بعد الإفادة من تطوّر الدرس النقديّ الغربيّ وتنامي نظريّات التّلقي والتأويل التي تحاول أن تقارب النّص الأدبيّ من زوايا مختلفة، وهو ما يسرّ لهذه المناهج التّعامل مع مختلف نصوص الأجناس الأدبية القديمة منها والحديثة. ولا شك أنه بهذا التطوّر يمكن أن يسهم التّقاد بمناهجهم النقدية المتباينة في تجديد الفكر الأدبيّ، فيفتحون أفاقاً رحبة تتفاعل مع الفكر الإنسانيّ فتثريه وتجعله قادراً على المواكبة والاستمرار.

أولاً: المناهج السياقية الخارجية:

نقصد بالمناهج السياقية الخارجية تلك الأحكام والرؤى التي تهدف إلى دراسة الظاهرة الأدبية من الخارج، إنّها مناهج نقدية تروم مقارنة الأدب من زاوية تلك الظروف الخارجة عن النّص وكيف أسهمت هذه الظروف في تكوينه وإنتاجه، ولعلّ من أبرز هذه المناهج السياقية الخارجية نذكر:

1- المنهج التاريخي: يُعتبر من أوّل المناهج النقدية الحديثة، وهو منهج يروم استخدام الأساليب والأدوات التاريخيّة لفهم وتحليل الأحداث والتّطورات ذات الطابع التاريخي. أمّا في علاقته بالظاهرة الأدبية فهو منهج يُحاول أن يدرس النّص الأدبيّ من خلال

1- السيد ياسين، التحليل الاجتماعي للأدب، ط2، مكتبة مدبولي، 1992، ص 207.

الظروف التاريخية التي أحاطت به وقت إنتاجه ومدى تأثيرها فيه ويُعتبر المنهج التاريخي من المناهج الخارجية لكونه يهتم بدراسة الأدب من الخارج أي من خلال تلك الظروف الخارجة عن النص وكيف أثرت فيه وفي إنتاجه فهو من هذه الناحية منهج سياقي خارجي.

ويعود ظهور المنهج التاريخي إلى نشأة المدارس الرومانسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تلك التي أسهمت ظروف عديدة في نشأتها وأهمها الثورة الفرنسية سنة 1789 والتي نادى بالحرية وظهور بعض الأفكار والنظريات الإبداعية سريعا ما انتقلت إلى الحقل الأدبي، فظهر التمرّد على نظرية المحاكاة الأرسطية والتقاليد الجامدة التي هيمنت قرونا عديدة، كما ساهمت الطباعة في تطوير المنهج التاريخي وإثرائه، ولعلّ من أبرز رواد المنهج التاريخي نجد سانت بييف؛ هيبوليت تين؛ جوستاف لانسون، العقاد، طه حسين، أحمد أمين، محمد مندور، وشوقي ضيف، ولا شك أن للمنهج التاريخي تأثيرات وإسهامات متعدّدة أفادت منها الظاهرة الأدبية والعلوم الإنسانية بشكل عام ولا سيّما التّقد الأدبيّ لعلّ أبرزها:

- تقسيم نوعي للأجناس الأدبية: قسّم المنهج التاريخي الأجناس الأدبية إلى شعر ونثر كما قسّم كلاّ منها إلى أنواعه فالشعر غنائيّ وملحميّ ومسرحيّ والنثر قصصي؛ روائيّ؛ مسرحيّ.

- كتابة تاريخ الآداب: من ذلك التأكيد على العلاقة الوطيدة للظاهرة الأدبية بالأحوال السّياسيّة والاجتماعيّة ومن ثم ربط أتباع المنهج التاريخي الظاهرة الأدبية بالعصور التاريخيّة وتبعاً لذلك فقد عمدوا إلى تقسيم الأدب على سبيل المثال إلى أدب العصر الجاهليّ، أدب العصر الأمويّ، أدب العصر الإسلاميّ، أدب العصر العباسي...الخ، وهو ما سمح لهم بالحديث عن أبرز الظروف السّياسيّة للعصر والتي أسهمت بدورها في رسم معالم الظاهرة الأدبية وقسّموها إلى عصور الانحطاط وعصور الازدهار.

- التعريف بالمذاهب الأدبية المختلفة: كان للمنهج التاريخي دور بارز في شيوع مذاهب نقدية مختلفة من قبيل الكلاسيكيّة والكلاسيكيّة الجديدة والرومانتيكيّة والواقعيّة والطبيعيّة والوجوديّة والعبثيّة...الخ.

غير أن هذا المنهج التاريخي في علاقته بالظاهرة الأدبية لم يسلم من الانتقادات

والرفض في أكثر من مناسبة لعلّ أبرزها:

- إغفاله للقيم الجمالية والدلالية والفنية للنص الأدبي لأنّ أغلب اهتماماته كان منصبّة على الظروف التاريخية التي أسهمت في نشأة المنجز الإبداعيّ شعراً ونثراً.
 - صعوبة الحصول على البيانات والحقائق التاريخية التي صاحبت كل نصّ أدبيّ.
- ولا شك في أنّ المنهج التاريخيّ كان له الأثر الكبير في الكشف عن الظاهرة الأدبيّة وتطويرها من خلال البحث في المصادر والوثائق والمخطوطات والسجلات وتوثيقها وإضفاء الطابع الإبداعيّ والفنيّ عليها ووضعها في السياق الزماني والثقافيّ والسياسيّ، وهو ما أتاح للمتلقيّ التّعرف على كينيّة تأثيرها على المجتمعات والثّقافات.

2- المنهج الاجتماعيّ:

ظهر النقد الاجتماعيّ للأدب كردّ فعل على النقد النفسيّ محاولاً تجاوز مظاهر النقص التي تجلّت عند أصحاب المنهج النفسيّ، فالظاهرة الأدبية حسب رواد النقد الاجتماعيّ عادة ما تعكس المجتمع والثّقافة والظروف الاجتماعية التي نشأ فيها الكتاب والمؤلفون، فالمنهج من هذه الناحية يمزج ما هو مضمونيّ وما هو شكليّ، وقد تمّ التركيز في التّقد السّوسيوولوجيّ وفقاً للمنهج المتّبع على مجال للدراسة بعينه ومعنى ذلك أن كل منهج ركّز على مجال من ذلك مثلاً:

1. المنهج الاجتماعيّ الوضعيّ: وهو الذي يهتمّ بالأديب وظروفه الخاصّة والعامّة؛ فهذا كلّه يشكّل هويته الاجتماعيّة، ومجال الدّراسة هنا متّصل بالحياة الاجتماعيّة للأديب، وتبعاً لذلك فإنّ الظاهرة الأدبية متّصلة بشدّة الاتصال بالحياة الشخصيّة للأديب ثمّ المجتمع.

2. المنهج الاجتماعيّ الجدليّ: يربط رواه بين مضامين الأعمال الأدبيّة بأشكال الوعي الإيديولوجيّ للمجتمع وطبقاته، ويعتمد هذا المنهج على مقولات الفكر الماركسيّ كالبنية التحتيّة والبنية الفوقيّة باعتبار علاقة الانعكاس والترابط الجدليّ بين الإنتاج الأدبيّ، والواقع الاجتماعيّ والسياسيّ والاقتصاديّ.

3. المنهج البنيويّ التكوينيّ: يبحث هذا المنهج في مستوى التناظر والتماثل بين البنيات والأشكال الأدبيّة والبنيات الذهنيّة المُشكّلة للوعي الجماعيّ، يهتمّ هذا

المنهج بمستوى الفهم أي تحليل البنية الداخلية للنص بتفكيك عناصره المكوّنة ومساءلتها، وبمستوى التفسير، أي ربط العمل الأدبي بالواقع الذي يؤول إليه.

4. المنهج السوسولوجي التجريبي للأدب: وهو منهج يهتم بمجال إنتاج الأدب وتسويق الأعمال الأدبية وما يرتبط بها من وسائل الاتصال والتّشّير والتّلقّي.

لقد أثر هذا المنهج في الظاهرة الأدبية شعراً ونثرًا تأثيرًا بالغ الأهمية، فقد يسّر هذا المنهج إقبال القراء على الأدب وتحليله وفهم علاقة الأدباء بالمجتمع والجمهور والقارئ بدليل أنه قد ركز على هذه العناصر الفاعلة في المنجز الأدبي وهي:

أ- سوسولوجيا الكاتب: يدرس نشأته وأصوله الاجتماعية ومظاهر البيئة التي عاش فيها.

ب- سوسولوجيا الكتاب: يهتم بعملية إنتاج الكتاب وتوزيعه ومدى نجاحه.

ج- سوسولوجيا القراء: يدرس انتماء القارئ الطبقي والاجتماعي، وحجمه ونوعية قراءاته وظروفها.

5. سوسولوجيا النصّ الأدبي: عمل «بيير زيمّا» على الاهتمام ببنية النصّ الأدبي اللغوية والرمزية محاولا التخلص من النظرة الايديولوجية الأحادية ومن مفهوم الانعكاس بوجهيه الآلي والجدلي.

ولعلّ من إسهامات هذا المنهج أنّه يعتني بالجانب الشكليّ للرّسالة من حيث الوحدات المعجميّة والتركيبيّة دون إلغاء جانب المحتوى.

لقد سعت المناهج الاجتماعيّة على تباينها وتعدّدها إلى مقارنة الظاهرة الأدبيّة من خلال تجاوز نقاط الخلل التي سقطت فيها المقاربة النفسيّة عندما أولت الاهتمام لزاوية المرسل إليه دون الرّوايا الأخرى في الظاهرة الإبداعية.

ونذهب إلى أنّ للمنهج الاجتماعيّ تأثيرًا في الظاهرة الأدبيّة، فهو يمكن أن يؤثّر على اختيار موضوعات الأعمال الأدبيّة. وقد تظهر قضايا اجتماعية مهمّة مثل الطبقات الاجتماعيّة، أو العدالة الاجتماعيّة، أو الصّراعات السياسيّة في الأعمال الأدبيّة. كما أنّ المبدع يمكن أن يجسّد في أعماله الأدبيّة مختلف الطّبقات الاجتماعيّة والعادات والتّقاليد من خلال شخصيات قصصية تنهض بهذا الدّور وذلك من شأنه أن يكشف عن استخدامات

لغوية مختلفة ومعبرة عن قضايا اجتماعية بعينها، ومن تأثير المنهج الاجتماعي على الأدب أن تكون الأحداث التاريخية مثل الحروب والثورات والتغيرات الاجتماعية مصدر إلهام للمبدعين والشعراء والكتاب مما يساعد على رسم موضوعات ثرية في مختلف الأعمال الأدبية. فالظاهرة الأدبية في عرف رواد المنهج الاجتماعي تعكس بشكل عام التغيرات والتحويلات في المجتمع والثقافة، ويمكن أن يكون وسيلة لفهم وتحليل هذه التغيرات، وعليه، فإن المنهج الاجتماعي بوسعه أن يلعب دورًا مهمًا وفعالًا في تشكيل الأدب وتوجيه محتواه نحو التعبير عن مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية.

ثانياً المناهج الأنساقية الداخلية:

نورد في هذا القسم الثاني من الدراسة بعضًا من آراء النقاد الغربيين تتعلّق بأثر المناهج النقدية الحديثة في الظاهرة الأدبية وقد تناول هؤلاء النقاد على اختلافهم وتنوع مدارسهم التقديرية مسألة المناهج وأثرها في الظاهرة الأدبية انطلاقًا من رؤيتهم وفهمهم لهذا المنجز الأدبي، وهو ما قادهم إلى ضرورة إعادة الاعتبار للنص وصياغة نظرية انطلاقًا من بنائه الداخلي، فهذا «إخنباون» يبرّر اعتراض الشكلانيين على تلك المناهج السياقية الخارجية السابقة بقوله «إنّ الشكلانيين في اعتراضهم على المناهج أنكروا ولا يزالون ينكرون، ليس تلك المناهج في حدّ ذاتها، وإنّما الخلط اللامسؤول فيها بين علوم مختلفة.. لقد اعتبرنا ولا نزال نعتبر كشرط أساسي، أنّ موضوع العلم الأدبي يجب أن يكون دراسة الخصائص النوعية للموضوعات الأدبية التي تميّزها عن مادة أخرى...»⁽¹⁾، فالبناء النصّي في علاقة بمفاهيم حوارية يمكن أن تحاكيه من قبيل الخطاب والمفوض والتلفظ، إنّه مفهوم إشكالي نظرًا لتعدد الزوايا التي يُنظر من خلالها إليه «فهو مصطلح شائع في مجالات من البحث عديدة وإنّ كان ذلك بتنوع مفهومي كبير فتصوّرات الفلاسفة للنص لا تطابق تصوّرات دارسيّ الأدب وإنّ نظروا جميعًا في المكتوب. أمّا علماء الإنسانيات فلا يرون النصّ حكرًا على الكتابة ويتحدّثون عن النصّ الشفويّ، وقد نجد توسعًا آخر يجعل المفهوم شاملًا لإنتاجات سيميائية غير لغوية كالنصّ الفلميّ والنصّ الموسيقيّ»⁽²⁾.

1- نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدّين، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، 1982، ص 35.

2- القاضي، محمد وآخرون: معجم السرديات، ص 452.

1- المنهج الشكلي:

تبه الشكليون الروس منذ البداية إلى أنّ موضوع الأدب هو الأدبية حين أكد جاكوبسن على «أنّ موضوع علم الأدب ليس الأدب، وإنّما هو الأدبية وليس الشعر وإنّما هو الوظيفة الشعرية»⁽¹⁾، وتبعًا لذلك فقد رفض الشكليون أغلب المقاربات الفلسفية أو الاجتماعية أو النفسية التي تحاول تحليل الظاهرة الأدبية، ومعلوم أنّ ما ذكره «جاكوبسن» في شأن أدبية النصّ قد عدّ منطلقًا وقاعدة أساسية من خلالها أسس الشكليون مقاربتهم للنصوص الأدبية، والأدبية في عرف الشكليين «لفظ ولید النقد الحديث يُطلق على ما به يتحوّل الكلام من خطاب عاديّ إلى ممارسة فنية إبداعية»⁽²⁾ أي ما الذي يجعل من الأدب أدبًا «أهو ما يقوله (وهو ما قد تشاركه به خطابات أخرى غير أدبية) أم هو كيف يقول ما يقوله (وهو ما يميّزه كخطاب أدبيّ عن سائر الخطابات الأخرى»⁽³⁾. وبهذا المعنى «فإنّ الشعرية لا تقف عند حدّ ما هو منجز وظاهر في البناء اللغويّ للنصّ الأدبيّ، وإنّما تتجاوزه إلى سبر ما هو خفيّ وضمني»⁽⁴⁾.

إنّ الأدب في عرف الشكليين الروس ينشأ من الأدب الذي يسبقه وليس من أيّ مصدر غير أدبيّ، وربّما لهذا السبب يفقد الواقع عندهم قيمته ومنزلته، فالأعمال الفنية لديهم تفسّر وفق قوانين الفنّ، باعتبارها ممارسة فنية وإبداعية ولا تتدبّر مبررات وجودها وكيونتها من إنتسابها إلى الواقع الماديّ. فما هو خارج النصّ (الواقع الفعليّ) ليس مسألة مهمة في كتابة الأدب عند الشكليين لا من حيث دراسته ولا من حيث تحليله، فهم يثمنون قيمة (الشكل الأدبي) من خلال تعريباته، وليس من خلال قدرته على المحاكاة والمشابهة، وأنّ التبدّل في الواقع والتغيير الذي يشهده بين الفينة والأخرى لا يستدعي بالضرورة التبدّل في الشكل الأدبيّ وإعادة تشكيله وفقا لتلك المتغيّرات التي شهدها الواقع الماديّ، فلا علاقة للشكل بالبنية التي أنتج في سياقها، أي: بما هو خارج النصّ، و بالتالي فإنّ مسألة الدلالة والخطاب المرجعيّ بصفة عامّة مسألة مهملة أو غير مطروحة بقوة في تقاليد الشكليين الروس النقديّة. فليس للمعنى والتاريخ قيمة في أدبيّاتهم.

1- Roman Jakobson: Huit questions de poétique, Collection Poelats, 1977, p16.

2- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط2، 1998 ص 132.

3- يمنى العيد، فن الرواية العربية، بين خصوصية الحكاية وتميّز الخطاب، يمنى العيد، فن الرواية العربية: بين خصوصية الحكاية وتميّز الخطاب، دار الآداب، بيروت، 1988، ص 8.

4- عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، كتاب النادي الأدبي الثقافي، السعودية، الطبعة الأولى، ص20.

والمعنى من هذه التّاحية يتمّاهى مع مقولة الواقع الخارجيّ من حيث عدم الإهتمام به وتحليله. فالشكل وهو يتطوّر ويتشكّل في عرف الشّكلانيين الرّوس هو محور إهتمامهم ومدار نظريّتهم. فعلى الشّكل يتوقّف المضمون في نظرهم.

إنّ غاية المنهج النقديّ كما وضعت معالمه النّظريّة الشّكليّة هي الكشف عن سبل تطوير الدّراسات الشّعريّة وبيان أثرها في الشّعريّة المعاصرة من خلال إعادة صياغته مفاهيمها ومنهجها ومختلف أدواتها الإجرائيّة. كما ساهم المنهج النقديّ الشّكليّ في الجدل الدّائر بين مختلف المدارس النقديّة حينما أثّرت قضيّة «أدبيّة الأدب»، فكما انحاز النّقاد إلى هذه النّظريّة عارضها فريق آخر واعتبرها مجانية للصّواب من ذلك ما ذهب إليه «هنري ميشونيك» و«جورج مونان» حينما استنقصا من نظريّة «جاكوبسن» واعتبراها نظريّة جامدة ولا تختلف كثيرًا عمّا كتبه فردينان دي سوسير (ت 1913) في نظريته اللغوية حول (اللّغة واللّسان والكلام والعلامة والدّال والمدلول)، أو ما ذهب إليه «باختين» فيما بعد حين أقرّ بضرورة التّلازم بين الشّكل والمضمون باعتبار أنّ كلّ منهما مكمل للآخر لا ينفصلان كما سنعرض لذلك لاحقًا.

2- المنهج البنيويّ:

حافظت المدرسة البنيويّة تقريبا على نفس التوجّه الذي أشرنا إليه عند الشّكلانيين، إذ رأت أنّ الأدبيّة في النّص الأدبيّ شكلٌ محضٌ. فلا تُعبر إهتمامًا كبيرًا للتّاريخ والمرجع والمعنى. فأدبيّة الأثر الأدبيّ متّصلة شديد الإتصال بالشّكل، بل هو شرط توقّفها، وقد عمد البنيويّون إلى عزل النّص الأدبيّ عن المرجعيّ الخارجيّ، فهو بالنسبة إليهم وحدة مكتفية بذاتها، وهو بمثابة النّسق المُتغلق أمام العالم الماديّ الخارجيّ «هذا النّسق له حياته المُستقلّة. ولن يكون رهن إشارة المقاصد الفرديّة. والقول أنّ لدى البنيويّة مشكلة مع الدّات الفرديّة هو طرح لطيف للأمر. فقد تمت تصفيّة تلك الدّات فعليًا وأُختزلت إلى وظيفة لبنية لا لشخصيّة»⁽¹⁾، وقد تتبع الناقد أحمد الودرني شيوع هذه المناهج وأثرها على الساحة النقديّة حين أشار إلى ظهور النقد البنائيّ في الستينات ونتائجه فأقرّ بتأثير ترجمة أعمال الشّكلانيين الرّوس وهو ما ذكّى «الاهتمام بعنصر الزمن في فن القصة بعامة وفي الرواية بخاصة فظهرت محاولات جديدة لتحليل الزمن في الرواية من حيث الشكل ومن أهمها

1- تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1991، ص 139.

دراسة جيرار جينات حول الزمن في البحث عن الزمن الضائع لبروست واهتم عبد الفتاح ابراهيم بالبنية والدلالة في القصة من خلال مجموعة «حيدر حيدر» في ضوء منهج تودروف أساسًا وفي ضوء آراء «جيرار جينات» واهتمت «سيزا قاسم» ببناء الرواية من خلال ثلاثية نجيب محفوظ وطبقت آراء جيرار جينات على هذا المنجز⁽¹⁾.

غير أنّ هذا التوجّه في عزل النَّصِّ واعتباره وحدة مُكتفِيّة بذاتها سوف تقعّ مراجعته من قبل ما أطلق عليه «تّيّار ما بعد البنيويّة». وهو تّيّار مثلته كثيرٌ من المناهج التّقديّة لعلّ أبرزها «السّيميائية، نظريات القراءة، التّأويل»، وهي مناهج أقرّت بفتح النَّصِّ على سياقات خارجيّة، من ذلك ما أقرّ به «تودروف» من «أنّ التّواصل بين النَّاس بواسطة اللّغة يقتضي أنّ يُعيّن المتخاطبون الأشياء التي يتحدّثون في شأنها وبذلك يكتسي الكلام وظيفة مرجعيّة حاصلة بفعل الإحالة على هذه الأشياء»⁽²⁾.

وفي هذا الإطار تبهت الناقدة «كاترين كاربرات أركيوني» «Catherine Kerbrat Orec-chioni» إلى أنّ فعل الإحالة على ما هو خارج نصّي نافية بذلك زعم اللّسانيين بأنّ المعاني هي مجرّد إنبثاق عن اللّغة «فكلّ نصّ يحيل أيّ يرجع إلى عالم موضوع خارج اللّغة و إلّا قادت اللّغة إلى أصوات فارغة»⁽³⁾، كما أنّ النَّصَّ الأدبيّ عند «إميل بنفنيست» «Emile Benveniste» (ت1976) على سبيل المثال لا تكون له وظيفة مرجعيّة تتصل أساسًا بما هو خارج النَّصِّ (المرجعيّ) باعتبار أنّ الجمل عنده وحدات دلاليّة لا تُتصوّر إلّا في سياق إستعمالها وإنّما تكون إحالة النَّصِّ ههنا على ذاته، فهي إحالة ذاتيّة أو داخلية «-au référence interne» «to-référentielle» كما يسمّيها، والإحالة في النَّصِّ الأدبيّ تكون «على حدث التلقّف والقائمين به في الوقت ذاته، بصفتهم أفرادًا مقدّودين في اللّغة وبها. ويستحيلون من صورة إلى صورة كلّما حصل فعل للتلقّف جديد»⁽⁴⁾، وهذا التّصوّر لمسألة الإحالة وعلاقة النَّصِّ بالمرجع عند «بنفنيست» مأتاه تعريفه للخطاب باعتباره «تلقّفًا يقتضي متكلّمًا وسامعًا وفي تيّّة الأوّل أنّ يُؤثّر في التّاني بطريقة ما»⁽⁵⁾.

1- أحمد الودرني، نظرية المعنى، ط1، مركز النشر الجامعي، تونس 2007، ص 17.

2- Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, ed. Seuil 1972, p317.

3- Catherine Kerbrat Orecchioni: L'énonciation de la subjectivité dans la langue, éd. Librairie, Armand colin, Paris 1980.p.101.

4- Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale ; éd, Gallimard, Paris ; 1974 TII. pp.224.225.

5- Ibid, pp.224.225.

وفي وجهة نظر مختلفة حرص بعض النقاد على ضرورة اعتبار النص الأدبي مجرد وعاء يمكن أن يعكس مختلف الصراعات الاجتماعية و الطبقية، من ذلك ما أشار إليه «جورج لوكاتش» متمثلاً في بيان العلاقة بين العمل الأدبي و الخلفيات الاجتماعية و الفكرية السائدة في سياق تاريخي محدد، مشيراً إلى مسألة «التماثل و التشابه بين الإبداع و الضمير الاجتماعي لا على مستوى المضمون و إنما على مستوى القيم و البنية التركيبية في كل منهما، وخاصة على مستوى التماسك بينهما»⁽¹⁾.

ويؤكد لوكاتش «Lukacs» (ت 1971) صاحب كتاب «نظرية الرواية» «La théorie du roman» على «أن الشكل هو العنصر الاجتماعي الحقيقي في الأدب»⁽²⁾ وأن الواقع المعيش ينعكس في أشكال الرواية. وهو مبدأ تأسست عليه نظرية الرواية عنده. إذ يقول «إن التصور الذي يبني عليه كتاب نظرية الرواية قوامه وهنا أن مسألة الشكل الروائي تتمثل في كونها انعكاساً لعالم متهافت»⁽³⁾.

وقد توسل أصحاب نظرية الانعكاس بالتصوص الأدبية ولا سيما التصوص الروائية لإستنباط ملامح المجتمع من ذلك ما أشار إليه «لويس مارين» «Louis Marin» «من أن القصص بصفة عامة من أبرز وظائفه تمثيل الواقع»⁽⁴⁾ «représentation» فمن وظائف اللغة أن تنوب عن الأشياء أي أن تحيل على واقع غير لغوي «ومن هذا المنطلق عدت الكلمات علامات تمثل أشياء العالم. فالوظيفة المرجعية في إصطلاح (رومان جاكوبسن) لا تعدو أن تكون تسمية جديدة لوظيفة التمثيل عند (ك- بهلر k- buhler)»⁽⁵⁾.

وقد عمد بعض النقاد إلى الموازنة بين أصحاب نظرية الانعكاس الآتي للواقع داخل النص الأدبي وبين النقاد الذين اعتبروا النص بنية شكلية مغلقة على ذاتها لا صلة لها بالواقع الخارجي. وقد تجسد هذا الدور مع «باختين» M, Bakhtine (ت 1975) في مرحلة أولى. ثم مع «بنفنيست» في مرحلة ثانية وبعض النقاد الآخرين الذين اعتبروا أن المجتمع موجود داخل النص ولسنا في حاجة لفرضه من قبيل ما أشار إليه «ميشال زرافة» في كتابه

1- Georges Lukacs, La théorie du roman, éd . Gonthier, 1963, p. 12.

2- Ibid, p12.

3- Ibid, p12.

4- Louis Marin: de la representation. Recueil établi par: Daniel Arasse.Alain Cantillon, Giovanni Careri, Daniél Cohn, Pierre Antoine Fabre et Françoise Main.Ed: Gallimard: Seuil, 1994.p.128.

وقد تصدّى باختين «صاحب نظرية الحوارية وتعدّد الأصوات في الملفوظ الروائيّ المشبع بأصداء فئات مختلفة وبيديولوجياتهم»⁽²⁾ لهذه الأفكار الواردة في الآراء السابقة. وبرّر ذلك بتلازم الشكل والمضمون كي تتحقّق أدبيّة النصّ إذ «ينبثق الواحد منهما من الآخر». فالشكل عنده شكل لمضمون والمضمون قائم بالشكل. فهو القائل «إنّ من الأهميّة بمكان أنّ نفهم الموضوع الجماليّ بطريقة تأليفية أي أنّ نفهمه في كليّته. وإنّ من الأهميّة أيضًا أنّ نفهم الشكل والمحتوى وهما متعالقان تعالفاً أساسياً وضروريّاً ومن الجدير أيضًا أنّ نفهم الشكل باعتباره شكلاً للمضمون والمضمون باعتباره مضموناً متأصلاً في الشكل»⁽³⁾.

كما يؤكّد على هذه الفكرة في مناسبة أخرى بقوله «إنيّ أغنيّ في الشكل وبه، وفيه أحكي الحكايات و أمثّل الأشياء وبواسطة الشكل أعبر عن حبيّ وعن شكّي وإقتناعي»⁽⁴⁾، على أنّ «باختين» يكتفي في دراسته لبنية النصّ الداخليّة فقط دون تجاوز ذلك إلى تفسير البنية الاجتماعيّة كما ذهب «غولدمان» ومما يقرب أفكار «باختين» من الشكلايين أكثر هو قوله بأنّ الأيديولوجيات المتعدّدة و المتناقضة و المتصارعة تدخل النصّ كعناصر بنائيّة و جماليّة فقط دون أنّ يرى هذا التسق البنائيّ المشكّل من الأيديولوجيات و الأصوات المتعدّدة.

كما أنّ القول بمبدا الحوارية وتعدّد الأصوات داخل العمل الأدبيّ لا يجعل من النصّ مجرد مركز لإستقطاب أشلاء النصوص الأخرى، بل أنّ النصّ خلق وتركيب وإستثمار لإمكانات اللّغة من أجل الوصول إلى الموقف الجديد دلاليّاً وجماليّاً. وهذه الآراء المتعلّقة بالخطاب المرجعيّ عند «باختين» تكاد تتفق مع ما ذهب إليه «ستاروبنسكي» «Staro-binski» الذي شدّد على متانة العلاقة بين الشكل الأدبيّ من ناحية والمضمون من ناحية ثانية إذ «يعدّ الأوّل أساساً للثاني ومجسّداً له في آن»⁽⁵⁾.

1- MICHEL ZÉRAFFA- ROMAN ET SOCIETE, COLLECTION SUP, PRESSES UNIVERSITAIRES DE France-LE SOCIOLOGUE SECTION DIRIGÉE PAR GEORGES BALANDIER, PP, 56, 74.

2- محمد الخبو، مداخل إلى الخطاب الإحالي في الرواية العربية، ص 17. مرجع مذكور سابقاً.

3- Mikhaïl Bakhtine : Esthétique et théorie du roman , éd Gallimard (pour la traduction française)1978, Traduit du Russe par Daria Olivier, Préface de Michel Aucouturier, p81.

4- Ibid p70.

5- Jean Starobinski, L'œil vivant, II, la relation critique, éd, Gallimard, 1970, pp17-19.

كما أشار «هوجوم أولسن» «Haugom Olsen» إلى هذه الفكرة حين تعرّض إلى علاقة النّص الأدبيّ بالواقع بقوله «مّا هو محلّ إتّفاق عميق بين الفلاسفة ومنظّري الأدب كون الخطاب القصصيّ (التّخييليّ) صيغة تعبيرية مستقلة لا تدّعي لنفسها قول الحقيقة، ولكنّها من جهة أخرى تختصّ بعلاقة غير مباشرة بالواقع»⁽⁶⁾.

لقد كان هذا عرضاً لأهمّ المدارس التّقديّة العربيّة والغربيّة، وما لهذه المناهج النّقديّة من أثر في تجليات الظّاهرة الأدبيّة ووظائفها ودلالاتها تراوح أساساً بين إكتفاء النّص الأدبيّ بعالمه الدّاخليّ وعدم إنتسابه إلى ما هو خارج عنه وبين إنفتاحه على الواقع الماديّ وعلاقته الوطيدة به لكونه يفتح على عوالم إعتقاديّة ممكنة ومفترضة، بل هو تعبّر عنها وتضوّر وإصلاح لها في آن.

6- Stein Haugom Olsen, The end of literary theory, ed. Cambridge University press 1999.p. 157.

الخاتمة

لقد تأثرت العلوم الإنسانيّة ولا سيّما الظّاهرة الأدبيّة بالمناهج التّقديّة المختلفة قديما وحديثا، فهذه المناهج اغتنت أكثر عندما تعاملت مع الأدب باعتباره ظاهرة ثقافيّة تشمل الدّين والأخلاق والعادات والأعراف والأساطير وكلّ معارف الإنسان ومظاهر سلوكه المتعدّدة، ممّا يجعل الظّاهرة الأدبيّة ذات طابع أنثروبولوجيّ يكسر النّظرة الصّيقة للأدب. إنّ بروز هذه المدارس النّقديّة المختلفة من قبيل النّقد البنيويّ والنّقد الثقافيّ والنّقد النسويّ والنّقد الاجتماعيّ قد ساعدت على تفسير الظّاهرة الأدبيّة في مفهومها الواسع وأبعادها المختلفة وفهمها وتحليل مقاصدها وتفسير مختلف الرّموز الموجودة فيها، ممّا سيّسهم في فهم ثقافات مختلفة ومعرفة التّحولات الاجتماعيّة والتّاريخيّة التي ما فتئت الظّاهرة الأدبيّة تتابعها وتسهم في رسم معالمها، وإجمالاً يمكن القول بأنّ المناهج النّقديّة على اختلافها قديما وحديثا لها تأثير كبير على مختلف العلوم الإنسانيّة يمكن أن نلخصه في ما يلي:

- تساعد المناهج النّقديّة على تنمية مهارات التّحليل النّقديّ لدى الباحثين في العلوم الإنسانيّة ولا سيّما الظّاهرة الأدبيّة، كما تعزز هذه المناهج قدرة الباحث على التّفكير النّقديّ وتفكيك وحدات الملفوظ والتمييز بين التّصووص المختلفة الجيدة والرّديئة والوقوف على مبررات الفرادة والتمييز.
- في علاقة المناهج النّقديّة بالثقافة يمكن أن نؤكد على أنّ هذه الأحكام النّقديّة أداة قويّة لفهم وتحليل النّظم الثقافيّة والوقوف على مدى تأثيرها في المجتمعات ذات الثقافات المتباينة، فبواسطة التّحليل المنهجيّ نتعرّف إلى عادات السّعوب، وتقاليدهم ورؤاهم الثقافيّة وهوياتهم.
- أمّا في الظّاهرة الأدبيّة موضوع اهتمامنا في هذه الدّراسة، فإنّ المناهج التّقديّة قد أسهمت بقسط وفير في تحليل التّصووص نثرية وشعرية وشرحها والتّعرّف إلى البنى الدّاخلية التي تحكمها والصّوابط التي ترسم أشكالها ومعانيها وأساليبها وتيسّر تحاورها مع بقية الأجناس الأدبيّة وهو ما كان له أثر كبير على عمليّة التّلقّي شريطة أن يكون المتلقّي على ثقافة نموذجيّة مخصوصة على ما يزعم «أمبيرتو إيكو» في حدود التّأويل⁽¹⁾.

1- Umberto Eco, les limites de l'interprétation, Ed Bernard Grasset Paris 1992- p76.

- أما على المستوى الفنّي فإنّ ثورة المناهج قد أتاحَت فرصًا لفهم الأعمال الفنّيّة وتحليل رموزها وألوانها ومقاصدها فبرزت مفاهيم فنّيّة جديدة تتّصل بالإيقاع والتّرميز والموسيقى.

- وأخيرًا فإنّ أثر المناهج النقديّة يمكن أن نرصد نتائجه لدى الباحثين في مجال العلوم الإنسانيّة ولا سيما الظاهرة الأدبيّة فيهرعون إلى الاستنتاج والتّقد والرّفص والقبول والنقاش والحوار، وهو ما سمح بتوظيف مناهج أخرى مثل المنطق والاستدلال والموازنة والتدوّق والتقييم وبالتالي الوصول إلى النتائج الصّحيحة والمرجّوة، وما كان لذلك أن يتوفّر لولا تسلّح القارئ والتّناقد على حدّ سواء بهذه الأدوات المنهجية.

المصادر

- الآمدي (أبو القاسم) الموازنة، تحقيق السيد أحمد صقر، ط. دار المعارف. مصر، 1961.
- الجاحظ (أو عثمان)، كتاب البخلاء: تح: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ط7، 1990م.
- الجرجاني (عبد القاهر)، عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط، 2.
- الخفاجي (ابن سنان)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى 1982.
- العلوي (ابن طباطبا)، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، (د.ت)، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله)، الشعر الشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث العربي، القاهرة، ط3، 1977.
- القرطاجني (ابن حازم)، «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، عن دار الغرب الإسلامي - تونس، الطبعة الثالثة، سنة 1986.

المراجع العربية:

- إيجلتون (تيري)، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1991.
- بارش (زهيرة) - الدرس السردي في الخطاب النقدي مقارنة تحليلية في نموذج سعيد يقطين رسالة ماجستير الجامعة الجزائرية 2014.

ثابت (محمد رشيد):

- روايات عبد الرحمان منيف: أشكالها ودلالاتها: كلية الآداب والعلوم الإنسانية منوبة 1990.
- البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسي ابن هشام: الدار العربية للكتاب 1975.

- الخبو (محمد): - الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة دار صامد للنشر والتوزيع 2003.
- مدخل إلى الشعر العربي الحديث، دار الجنوب للنشر مفاتيح، ط1، 1995.
- مداخل إلى الخطاب الإحالي-مكتبة علاء الدين صفاقس 2007.
- السلطاني (محمد علي): العروض وموسيقى الشعر العربي، جامعة دمشق 1982.
- السماوي (أحمد): فنّ السرد في قصص طه حسين. صفاقس. مط. التّفسير الفنّي. 2000.
- الطرابلسي (محمد الهادي): في مفهوم الإيقاع، حوليات الجامعة التونسية، العدد32، سنة 1991.
- طرشونة (محمود) - إنشائية المنهج في النقد الأدبي - دار المعارف للطباعة والنشر سوسة تونس 2000.
- عبد العال (عبد السلام عبد الحفيظ)، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر الشريف، القاهرة، 1978.
- العيد (يمنى)، فن الرواية العربية، بين خصوصية الحكاية وتميّز الخطاب، يمى العيد، فن الرواية العربية: بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، 1988.
- الغدامي (عبد الله)، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، كتاب النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ط1.

القاضي(محمد):

- تحليل النص السردى بين النظرية والتطبيق دار الجنوب للنشر 1977.
- الخبر في الأدب العربي. دراسة في السردية العربية الطبعة الأولى كلية الآداب بمنوبة تونس ودار الغرب الإسلامي بيروت 1998.
- القروي (محمد)، نظرية التلقي عند ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر، منشورات معهد اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2012.
- المسدي (عبد السلام)، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط2، 1998.

- الودرني (أحمد)، نظرية المعنى، ط1، مركز النشر الجامعي، تونس 2007.
- ياسين (السيد)، التحليل الاجتماعي للأدب. ط2، مكتبة مدبولي، 1992.
- المعاجم:
- القاضي (محمد) وآخرون: معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي وآخرون، تونس، ط1، 2010م.

الكتب المترجمة:

- الخطيب (إبراهيم)، نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، 1982.
- ديكارت، «مقال عن المنهج» ترجمة محمود الخضيرى، تقديم: عثمان أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

المراجع الأجنبية:

- Bakhtine (Mikhaïl): Esthétique et théorie du roman, éd Gallimard (pour la traduction française) 1978, Traduit du Russe par Daria Olivier, Préface de Michel Aucouturier.
- Benveniste(Emile), Problèmes de linguistique générale; éd, Gallimard, Paris; 1974.
- Eco (Umberto), les limites de l'interprétation, Ed Bernard Grasset Paris 1992.
- Lukacs (George)s, La théorie du roman, éd. Gonthier, 1963.
- (Heuvel) Pierre Van Den - parole - mot - silence- pour une poétique de l'énonciation librairie Corti - 1985.
- Jakobson (Roman): Huit questions de poétique, Collection Poelats, 1977.

- (Jilani) Chabih. <https://www.oujdacity.net/national-article-99608-fr/la-methode-chez-descartes>.
- Marin (Louis): de la représentation. Recueil établi par: Daniel Arasse. Alain Cantillon, Giovanni Careri, Daniel Cohn, Pierre Antoine Fabre et Françoise Main. Ed: Gallimard: Seuil, 1994.
- Orecchioni (Catherine Kerbrat): L'énonciation de la subjectivité dans la langue, éd. Libraries, Armand Colin, Paris 1980.
- Olsen (Stein Haugom), The end of literary theory, ed. Cambridge University press 1999.
- Starobinski (Jean i), L'œil vivant, II, la relation critique, éd, Gallimard, 1970.
- Todorov(Tzv etan) - Poétique de la prose éd Seuil coll. poétique Paris 1971.
- (ZÉRAFFA(MICHEL) - ROMAN ET SOCIETE, COLLECTION SUP, PRESSES UNIVERSITAIRES DE France-LE SOCIOLOGUE SECTION DIRIGÉE PAR GEORGES BALANDIER.

Dictionnaire:

- (Oswald) Ducrot eh (Tzvetan) Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed. Seuil 1972, p317.

فهرس الموضوعات

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث	م
7	التفكير الناقد بين جذوره التاريخية وضوابطه (اللغوية والتقدية) الحديثة- دراسة تحليلية مقارنة	د. إيناس نظمي الزيناتي	1
37	خمسة أنساق نقدية لتأطير المشكلة المصطلحية في النظريات اللسانية العربية . من تشخيص الواقع إلى إعمال التوقع .	أ.د. يوسف مقران	2
83	الأدب الرقمي العربي في محك الرصد التجنيسي؛ تأملات ومقارنات	أ.د. بلقاسم الجطاري أ. عبير البريكي	3
101	توظيف الرحلات المعرفية Web Quest في تنمية مهارات التفكير الناقد لطلاب أقسام المكتبات والمعلومات: أنموذجًا مقترحًا	أ.د. محمد محمد النجار د. أميرة أحمد مصطفى	4
131	أثر إستراتيجية هوكنز على التحصيل والتفكير الناقد لدي طفل الروضة بالإمارات العربية المتحدة	د. جيهان رشوان	5
169	التربية الإعلامية الرقمية والتفكير الناقد دور مهارات التعلم في عصر التكنولوجيا في تمكين المجتمع الرقمي	أ. زينب جميلي أ. عادل صيد	6
193	دور معلمي المدارس الحكومية في الأردن في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طلبتهم	د. محمد خالد محمد الزعبي	7
231	التفكير الناقد في منهج التربية الإسلامية - في دولة الإمارات العربية المتحدة - (الصف الثاني عشر أنموذجًا)	د. عئشة مبارك أ. أمل الشحي	8
255	الذكاء الاصطناعي ومستقبل التفكير الناقد في علم الفقه بين الإمكانيات التكنولوجية والضوابط الشرعية	أ.د. أسماء فتحي عبد العزيز شحاته	9
289	التفكير الناقد وتدریس العلوم الإسلامية	د. مريم المنصوري	10
323	مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام: قراءة تأويلية	د. لبنى المفتاحي	11
349	الاستدلال بالمقاصد الشرعية وأثره في الاجتهاد في القضايا المعاصرة	أ.د. حسبية حسين	12
377	توظيف الذكاء الاصطناعي في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية	أ.م. د. رباب محمود نذير م. د. ميسون يونس محمود	13
401	النقد الفقهي بين التنظير والتطبيق	أ.د. إبراهيم رشاد	14

441	الإسهامات التطبيقية للتدخل السيكولوجي في تنمية التفكير الناقد: دراسة مقارنة بين البرامج التدريبية والإرشادية في البيئة العربية باستخدام منهجية التحليل البعدي	د. سليمان عبد الواحد يوسف د. أمل محمد غنایم	15
471	المناهج النقدية وتأثيرها في نظريات العلوم الإنسانية قديما وحديثا	د. بلقاسم مارس	16
503	التفكير الناقد لدى طلاب العلوم الإسلامية ومهارات التعلم في عصر التكنولوجيا	د. عبد الفتاح محفوظ	17
539	الخطيات الإستمولوجية للمناهج النقدية ودورها الثقافي في إثراء العلوم الإنسانية قديما وحديثا	د. قردان ميلود	18
563	مبادئ نمو التفكير الإبداعي من منظور التحليل النفسي	أ. شهيدة جبار أ. فايزة صحراوي	19
599	المناهج النقدية الغربية والشعر العربي من الشك إلى الهدم والتقويض	د. محمد رندي	20
637	صعوبات توظيف مهارات التفكير الناقد في التعلم لدى طلبة المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة بالجزائر	د. مخلوفي اسعيد د. ساعد صباح	21
681	الاستدلال الأصولي بين الاجتهاد والتقليد: دراسة في بيان نقد الأصوليين للاستدلال المنطقي الأرسطي	د. أنس القزباص	22
709	صناعة التفكير الناقد في الدرس اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح (1927 - 2017م)	د. عمر بو شنة	23
745	توظيف التمثيل في العلوم الإسلامية بين الاجتهاد والجمود	د. لحسن أبو القاسم	24
777	الضابط السياقي في الدراسات النحوية التراثية وأثره في التطور الدلالي وتعيين المعنى	د. شفاء مأمون ياسين	25
807	منطق النقد؛ أسسه ومفترضاته وتطبيقاته	د. يونس الخليلشي	26
833	تلقي النقد الأدبي العربي المعاصر للنظريات اللسانية والنصية الغربية	د. عمار حلاسة	27

شارع زعبيل - دبي - الإمارات العربية المتحدة
هاتف: +97143961777، فاكس: +97143961314، ص. ب: 50106
البريد الإلكتروني: info@alwasl.ac.ae
موقع الجامعة: www.alwasl.ac.ae